Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

الموقف العثماني من التحالف الحبشي البرتغالي ١٥٠٨-١٥٥٥م

The Ottoman Attitude of The Portuguese Abyssinian Coalition

أ.م. د. نسيبة عبد العزيز عبدالله

Prof.assist.dr. Nusseibeh A. Abdullah

كلية الآداب /قسم التاريخ /جامعة الموصل

University of Mosul/College of Arts/History dept

ملخص

ازداد خطر البرتغاليين بعد وصولهم المحيط الهندي وسعيهم للتحالف مع مملكة الحبشة ذات الموقع المهم ، فالتحالف معها يعزز سيطرتهم على البحر الاحمر والمحيط الهندي ويقطع على المسلمين طرق التجارة القديمة وقد نشطت البعثات بين الجانبين لهذا الغرض ، لذا سعى كل من المماليك والعثمانيين الى منع هذا التحالف وقد نجحوا احيانا وفشلوا في احيان اخرى ، وكان العثمانيين سباقين الى تحسس هذا الخطر منذ وصوله الى الهند عام ١٤٩٨ ، فارسلوا منذ ذلك التاريخ المساعدات للمماليك ، وبعد ان سيطروا على مصر تولوا هذا الامر بأنفسهم وقد اتخذوا اسلوبين في التصدي لهذا التحالف الاول دعم الامارات الاسلامية القائمة على الساحل الغربي للبحر الاحمر، وابرزها امارة عدل بزعامة الامام احمد بن براهيم ، اما الثاني فيشمل انشطة عسكرية في البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وقد نجحوا في تامين البحر الاحمر والديار المقدسة .

Abstract

The Danger of The Portuguese has Increased After They Reach The Indian Ocean and Seeking an Alliance With The Kingdom of Abyssinia Which it has an Important Location

The Alliance With Them Strengthens Their Control Over The Red Sea and The Indian Ocean and Cuts off The Old Trade Routes for The Muslims, The Missions from Both Sides have been active for this purpose .therefore both the Mamluks and the ottomans sought to prevent This Alliance Sometimes They Succeeded Other Times They Failed, The Ottomans Were The First to Feel this dander Since his Arrival to Indian in 1498, Since Then The Ottomans Send Supports to The Mamluks After The Ottomans Took Control of Egypt They did This Themselves, They have Done tow Ways to Eliminate This Aalliance, The First one is to Support The Islamic Emirate Specially The Adel Emirate Which it Led by Imam Ahmed bin Ibrahim

which it lies on The West Coast of the Red sea. The Second one Includes Military Activities in The Red sea and Indian Ocean, so They Succeeded in Securing The Red sea and The Holly Land

تمهيد: التعاون الحبشي البرتغالي في القرن الخامس عشر

كانت الحبشة قد سعت في وقت سابق لظهور البرتغاليين الى التحالف مع الاوربيين، منذ عهد الملك اسحاق بن داؤود(١٤١٤-١٤٢٩) الذي كتب الى امراء وملوك اوربا يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة المماليك [١]، وقد لقيت دعوته هذه استجابة من بعض ملوك اوربا ومنهم الفونسو الخامس ملك ارغون(١٤١٦-١٤٥٨)الذي تعهد بإعداد اسطول لهذا الغرض كما ارسلت فرنسا سفارة الى الحبشة على راسها دوق باريس لم يصل منها سوى شخص واحد[٢]،وقد دفعته تلك التعهدات الى البدء بالإغارةعلى سواحل البحر الاحمر الغربية وتدمير بعض مدنها مما اضطر السكان الى المغادرة الى الجزر المقابلة للساحل الا انه اضطر للتراجع بسبب مقاومةقبائلالبجة[٣]

اما البرتغال بزعامة ملكها جون الاول (١٣٨٥-١٤٣٣) وولده هنري الملاح ، فقد كانت تسعى الى التعاون مع الحبشة لضرب تجارة المسلمين في المحيط الهندي والبحر الاحمر ومالاستكشافات الجغرافية التي قاموا بها الا لتحقيق هذا الهدف،وكان الملك الحبشي رزء يعقوب(١٤٣٤-١٤٦٨) يسعى الى اقامة علاقات دينية مع البابوية على امل ان تستنهض اوربا للقضاء على الدولة المملوكية ودفعه حقده الى التفكير بفصل الكنيسةالحبشية عن الكنيسة القبطية في مصر[٤] ، وقد ارسل عام ١٤٤٠ سفارتان الى روما ،وفي ١٤٥٠ ارسل له ملك ارغون الفونسو الخامس وفدا يحثه على قطع مياه النيل عن مصر ويعده بتوفير الادوات اللازمة لهذا الامر[٥]، وفي عهد الملك البرتغالي يوحنا الثاني(١٤٨١-١٤٩٥) ارسلت البرتغال وفدا

(١) الالمام بإخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام ، احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي ،(١٨٩٥) مصر:٥ ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ، احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي ، ط٢،(١٩٥٦)القاهرة:٤/٢٧٢

(٢) انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، حسن احمد محمود (١٩٦٣) ، القاهرة : ٤٠٦؛ ميناء الشحر في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، شيخة بنت صالح بن محمد شعيب ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى (٢٠٠٥) مكة : ١١٦

(٣) تاريخ ارتريا، عثمان صالح سبي،(١٩٧٤)،د.ت :١٢٦.وقبائل البجة هي قبائل بدوية تسكن مناطق السودان الوقعة بين النيل والبحر الأحمر اعتنقت الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي ينظر:

A History of The Beja Tribes of The Sudan ,Andrew Paul,(1954),Cambridge:64-65.

(٤) تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر(قارة افريقيا)،احمد ياغي ومحمود شاكر(٢٠٠٦)، الرياض:٢٥٢

(٥)العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية والمسيحية في الحبشة خلال النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادي، خديجة احمد الطناشي ،(١٩٩٦) ، طرابلس :١٦٢.

الى الحبشة برئاسة بيدرو دي كوفلهم ، عقد تحالفا مع الملك الحبشي اسكندر بن ادماس(١٤٧٨-١٤٩٢)، ومن جانبه ارسل وفدا الى البرتغال لا بلاغ ملكها بمساندته لتوجهها الاستعماري، وكان قد اعلن حربا على مسلمي امارة عدل[٦] ، ودمر مساجدهم ومنازلهم[٧] اما في عهد الملك البرتغالي عما نوئيل الاول ١٤٩٥-١٥٢١ فقد نجح فاسكو ديكاما في الوصول الى الهندوقبل ان يصلها وصلالى اللمبار(تقع على شاطئ بحر العرب كان فيها عدة راجات (امراء) منفصلين عن الداخل) وكان ولائهم اسمي للسامري او الزامورين[٨] ،وما ان وصل الى كلكتا عام ١٤٩٨ حتى ظهرت اطماعه الاستعمارية .

اولا: التحالف الحبشي البرتغالي ١٥٠٠-١٥١٦

ا- الحملات الاستكشافية البرتغالية واثرها في تدعيم التحالف مع الحبشة

ادرك البرتغاليون ان نجاح حملاتهم الاستكشافية يقتضي اقامة علاقات مع مملكة الحبشة لإيجاد قاعدة متقدمة لهم فيالبحر الأحمر وشرق افريقيا لتامين طريقهم الى الهند،لذلك فان معظمها تضع الوصول الى الحبشة احد اهدافها.

ففي عام ١٥٠٠ ارسلت البرتغال حملة الى الهند يقودها بدرو الفايز كابرال اثارت مشاكل كثيرة للتجارة الاسلامية في كلكتا مما اضطر المسلمين الى مهاجمة المركز التجاري الذي اقامه وقتلوا ٥٠ برتغاليا، ولما لم يجد الاستقبال هناك ضرب المدينة بالمدفعية يومين كاملين كما ضرب السفن العائدة للمماليك[٩] ، وعلى الرغم من انه لاتوجد لدينا معلومات عن اتصالات جرت بين الاحباش والبرتغاليين في هذه الفترة الا ان هناك من اشار ان كابرال عندما مر في مالندي عام ١٥٠٠ ارسل رجلين من رجاله الى البر، وكلفهما

(٦) **امارة عدل**: ظهرت هذه الامارة على انتقاض امارة اوفات الاسلامية التي انتهت عام ١٤٢٠ م ولجأ ابناء اميرها سعد الدين اخر امرائها الى ملك اليمن الناصر احمد بعد مقتل ابيهم وقد ساعدهم في اقامة دولتهم فنزلوا جنوب شرق هرر وجعلوا عاصمتهم مدينة دكر ، ومن هناك عاودوا صراعهم مع الأحباش، ومع قدوم العثمانيين الى المنطقة اصبحت صلتهم قوية بهم وحصلوا على دعمهم ، للتفاصيل ينظر : الالمام : ٤٤؛ اثر الهجرة في تكوين الامارات الاسلامية في افريقيا ، عبدالله خضر احمد ، مجلة قراءات أفريقية ، عدد١٩، يناير/ مارس، الرياض (٢٠١٤) :٩

(٧)ميناء الشحر :١١٧

(٨) **الزامورين**: هو لقب حاكم امارة كلكتا الهندوسي وكان يمثل اقوى سلطة في ساحل اللمبار. للتفاصيل ينظر: تاريخ الاسلام في الهند عبد المنعم النمر، (١٩٨١) ، بيروت :٤٢٣؛ صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي جذوره التاريخية وابعاده، محمد عدنان مراد(١٩٨٤)،دمشق : ١٢٤؛ صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، غسان محمد علي الرمال ، (١٩٨٥) السعودية : ١٦٥

(9) The Ottoman Turks And The Arbs 1511-1574,Gorge William Fredrick Stripling ,(1942) U.S.A: 29.

بالذهاب الى الحبشة والتباحث في ايجاد تحالف معها[١٠] ويبدو ان هذين الشخصين لم يحققا هدفهما او ربما انهما لم يصلا الى الحبشة لسبب ما؛ لذا لم تشر المصادر الى تفاصيل عن هذا الامر.

وفي عام ١٥٠٢ ارسلت البرتغال حملة اخرى قادها فاسكو دي جاما للمرة الثانية ، فبدء عمليات قرصنه ضد المراكب الإسلامية وقتل الكثير من ركابها واسر اخرين[١١]، وعمد الى الانتقام من كلكتا بسبب مقتل الوكلاء التجاريين في حملة كابرال السابقة فضرب المدينة بالمدفعية وجرت معركة بحرية مع الزامورينلم تأتبنتيجة تذكر بسبب ضعف اسلحتهموسفنهم ورغم ذلك استطاع تحقيق بعض النصر بمساعدة البحارة المسلمين ، فاضطر فاسكو دي جاما الى ايقاف المعركة والهرب ساعده على ذلك ان سفنه اسرع من سفن الهنود[١٢] .

وفي عام ١٥٠٣م ارسلت حملة بقيادة الفونسو بوكيرك تكونت من ثلاث سفن هدفها استطلاع سواحل شرق افريقيا لتحديد بعض المرتكزات هناك والتي تمكنه من التعاون مع مملكة الحبشة، وبعد ان عاد الى بلاده عام ١٥٠٤ قدم خططا جديده للغزو والتوسع ، وبناء على تلك الخطط ارسلت البرتغال حملة اخرى يقودها فرانسيسكو الميدا الذي عين نائبا لملك البرتغال في الهند عام ١٥٠٥[١٣] وفي عام ١٥٠٦ الحقته بقوة اخرى بقيادة ترستاو داكونها مهمتها ارتياد سواحل افريقيا الشرقية، وتدمير القوى البحرية في المنطقة بحيث لا تشكل أي خطر على المحطات والمراكز المزمع اقامتها ، ويقتضي ذلك تدمير كافة الموانئ التي من الممكن ان يسلكها الاسطول المملوكي اذا فكر بالتصدي لهم في البحرالاحمر[١٤]،وكان هدفهم اغلاق البحر الاحمر بوجه التجارة الاسلامية المرسلة الى جدة والسويس من الهند، وهكذا سعى البرتغاليون الى انهاء دور المسلمين في التجارة العالمية آنذاك مما اثر على اقتصاد الدولة المملوكية بشكل مباشر والتي تشكل واردات الجمارك احد موارد اقتصادها المهمة، والاخطر من ذلك انه في هذا العام اوقف الحج بصورة مؤقتةفاهتز العالم الاسلامي لهذا الحدث[١٥].

---

(١٠) افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي ، رجب حراز (١٩٦٨) القاهرة : ١٣

(١١) اضواء على تاريخ اليمن البحري ، ط٢، (١٩٨١) بيروت: ١٩٥-١٩٦

(١٢) صراع القوى في المحيط الهندي : ١٢٦؛ صراع المسلمين مع البرتغاليين : ١٧٢ .

(١٣) صراع المسلمين مع البرتغاليين : ١٧٥

(١٤) الكشوف الجغرافية ... دوافعها حقيقتها ، محمود شاكر ، (١٣٩٣هـ) بيروت: ٢٧؛ العالم الاسلامي عشية توسع اوربه ،جون سندرز،ترجمة:محمد ظافر الصواف(١٩٩٤)،بيروت: ١٧٣.

(15) The Portuguese of South Arabian Cost , R.B. Sergeant,(1963),Oxford :15;

كان برفقة داكونها الفونسو بوكيرك الذي اشتهر اسمه بسبب اعماله الوحشية ضد المسلمين ، فتركه في موانئ البحر الاحمر وتابع سيره الى الهند ، حاول بما معه من قوة احتلال عدن وقصفها بالمدافع ثم هاجم احد مرافئ عمان ثم مسقط وهما المنطقتان اللتان تشكلان الى جانب هرمز اسواقا رئيسية للخليج العربي ، ثم بدء بمهاجمة التجارة الاسلامية في سواحل عمان ودمر عددا من السفن الراسيةهناك، ثم هاجم قلهات وقوريات من مرافئ عمان والحق هناك مذبحة شهيرة وقتل الاسرى من النساء والاطفال والشيوخ كما هاجم هرمز واضطر اهلها الى الصلح معه بعد حصار شديد وتعهدوا بدفع الجزية، واعفاء البضائع البرتغالية من الضرائب[١٦]

تركت هذه الاعمال الوحشية اثارا مدمرة على المماليك، فضلا عن الممالك الاسلامية في الهند التي كانت تربطها علاقات تجارية معهم ، ويصف ابن اياس هذا العبث البرتغالي واثره على مصر بقوله: " وصاروا يعتدون على مراكب الهند ويقطعون عليهم الطريق في الاماكن المخيفة وياحذون ما معهم من بضائع حتى عز وجود الشاشات والارز في مصر وغيرها من البلاد... " ثم يتحدث عن الخراب الذي حل بالموانئ المصرية فقال: " فان بندر الإسكندرية خراب ولم تدخل اليه البضائع في السنة الحالية، وبندر جدة خراب بسبب عبث الفرنج على التجار في بحر الهند فلم تدخل المراكب بالبضائع الى بندر جدة نحو ٦ سنين وكذلك جهة دمياط..." [١٧]وقد اكد الرحالة الايطالي لود فيجو دي فارتميا – الذي غامر بالدخول الى مكة عام ١٥٠٣ على اساس انه مسلم– هذا الأمر، فلم يجد فيها البضائع التي كانت تصل اليها واشتهرت بها ، وعندما سال عن السبب اجابه احد الاشخاص ان البرتغاليين يقطعون الطريق على التجار[١٨]

التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب، حسين أمين ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد١٢، بغداد١٩٨٠: ٢١٨-٢١٩؛ الشعوب الإسلامية ، عبد العزيز سليمان نوار، (١٩٩١) بيروت: ١٣٢ .

(16) The Ottoman Turks:32;

الخليج العربي بحر الأساطير ، قدري قلعجي ، (١٩٦٥)، بيروت:٣٦٥.

(١٧) بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن احمد بن اياس ، تحقيق محمد مصطفى، (١٩٦٠) القاهرة: ٤/٣٥٩،١٠٩

(١٨)العالم الاسلامي عشية توسع اوربه : ١٧٩

٢- التعاون العثماني المملوكي ضد التحالف الحبشي البرتغالي حتى عام ١٥١٦

تطلب هذا الوضع ان يقوم السلطان المملوكي باستعدادات عسكرية لمجابهة البرتغاليين، وازداد الضغط عليه من حكام كلكتا وكجرات الهندية الذين بعثوا برسلهم اليه يطالبونه بالقيام بعمل عسكري ، بل هددوه بالتعاون معهم ودفع الجزية اذا لم تقدم لهم المساعدة ، وبما انه غير قادر على القيام بهذا العبئ لوحده لذا كان عليه ان يطلب المعونة من العثمانيين الذين كانوا قد امدوه منذ عام ١٤٩٨م بـ ٤٠٠الف دوقة[١٩]ذهب ارسلها السلطان بايزيد الثاني ١٤٨١-١٥١٢مع البحار العثماني كمال ريس[٢٠]لمساعدته في التصدي للخطر البرتغالي الذي وصل الى سواحل الهند في هذا العام.

وعلى اثر اعتداءات البوكيرك على البحر الاحمر والخليج العربي عام ١٥٠٦ ارسل السلطان بايزيد الثاني مبعوثا الى السلطان قانصوه الغوري واعقبه باخر بعد ١٧شهر للوقوف على احتياجاته للتصدي للبرتغاليين والحيلولة دون اتصالهم بالأحباش وفي عام ١٥٠٧ ارسل البحار كمال ريس لإيصال المساعدات العسكرية التي طلبها وهي عباره عن خبراء في المعارك البحرية وصناعة السفن فضلا عن معدات عسكرية من بينها خمسين مدفعا[٢١]وبأشراف كمال ريس بدا اعداد الاسطول المملوكي في ترسانة السويس وبعد اكماله خرج الاسطول المملوكي الى المحيط الهندي لمواجهة الاسطول البرتغالي وكان بقيادة الاميرحسين الكردي ،فسيطر على مرفئ سواكن ووضع حامية كبيرة فيها للحيلولة دون اتصال البرتغاليين بالأحباش وبذلك اصبح الساحل الغربي للبحر الاحمر من سواكن والى الجنوب منها تحت حكم المماليك المباشر كما بسط سلطة المماليك الاسمية على مناطق السودان واراضيها الواقعة بين النيل والبحر الاحمر[٢٢]. بعد ذلك ابحر الى ديو واستقر فيها، فوقعت اول معركة بحرية بين المماليك والبرتغاليين عام ١٥٠٨في ميناء (شول)الواقع الى الجنوب من سلطنة كجرات ، فحقق الاسطول المملوكي انتصارا على الاسطول البرتغالي وانتهت المعركة

---

(١٩) **الدوقة** : تسمى ايضا البندقي نسبة الى البندقية التي ضربت فيها العملة عام ١٢٨٠او ١٢٨٤وشاع استعمالها في الدولة العثمانية في القرنيين العاشر الحادي عشر الهجريين ينظر : تاريخ النقود العراقية لما بعد العصور العباسية، عباس العزاوي ،(١٩٥٧) بغداد: ١٢٩-١٣٠

(٢٠) **كمال ريس** : هو احمد كمال الدين بك المعروف بكمال ريس اشتهر في المعارك التي قادها في شرق البحر المتوسط وغربه في عهد السلطان بايزيد الثاني الذي كلفه بمساعدة مسلمي الاندلس وقد بقي حامل لواء الجهاد البحري طول حياته حتى توفي عام ١٥١١ينظر عنه :النشاط البحري لكمال ريس ١٤٥١-١٥١١ ، نسيبة عبدالعزيز عبدالله الحاج علاوي ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، العدد١، مجلد ١٤، كانون الاول، جامعة الموصل ٢٠١٧: ٤٠٠-٤١٥

(٢١) بدائع الزهور : ٣٦٥/٤؛ العلاقات العثمانية المملوكية ١٤٦٤-١٥١٧،غيثاء احمد نافع ،(٢٠٠٥) بيروت: ١٥٩

(٢٢) الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤ ،نيقولاي ايفانوف، ترجمة:يوسف عطا الله(١٩٨٨)،بيروت : ١٥٣

بمقتل قائد الاسطول البرتغالي وهوابن نائب ملك البرتغال في الهند[٢٣]، وعلى الرغم من هذا الانتصار فقد مني الاسطول المملوكي بهزيمة كبيرة عام ١٥٠٩في موقعة ديو الشهيرة .

بعد الانتصار الذي حققه البرتغاليين على المماليك اخذت الحبشة تسعى للحصول على دعمهم ضد المسلمين في الممالك الإسلامية الواقعة على الساحل الغربي للبحر الاحمر الذين اشتد عودهم بعد ان تحرك الاسطول المملوكي في البحر الاحمر، فارسل الملك الحبشي لينا دنجل(١٥٠٨-١٥٤٠) وفدا لهم برئاسة ماثيو الارمني يرافقه احد امراء الاحباش عام ١٥٠٩، ورغم وفاة الامير الحبشي الا ان ماثيو اكمل طريقة الى الهند ليصلها عام ١٥١٢[٢٤]، وقد ارسل مع الوفد قطعة ثمينة يقال انها من الصليب الاصلي ورسالة وصف فيها ملك البرتغال بانه (قاهر المسلمين) ،وابدى اعجابه بالانتصارات التي حققها في المحيط الهندي، وابلغه الوفد ان الملك الحبشي قد عزم على غزو مكة والسيطرة على البحر الاحمر،لذا يطلب تزويده بالسفن اللازمة لتحقيق هذا المشروع ، وعرض ماثيو استعداد ملك الحبشة لا رسال عددا من الجند لتقديم المساعدة عند مضيق باب المندب[٢٥]،بقي ماثيو في البرتغال حتى عام ١٥١٥ وسنتحدث عن الرد على البعثة لاحقا.

في هذه الاثناء كان البوكيرك يسعى من جانبه الى الاتصال بالحبشة بعد عودته الى البحر الاحمر عام ١٥١٠ ، وبما ان البحر الاحمر ليس امينا فقد توجه الى (القرن الافريقي) المقابل لجزيرة سومطرة فانزل بعثة دينيةبرتغالية الى ملك الحبشة انقطعت احبارها ويبدو انها كانت فريسة سهلة للقبائل الافريقية في جنوب الحبشة[٢٦]، في هذه الأثناء كان المماليك يعدون العدة لمواجهة البوكيرك ، بعد ان امدهم العثمانيون بمساعدات اخرى ارسلت مع القائد العثماني كمال ريس والتي كانت عبارة عن كميات كبيرةمن الاخشاب الازمة لبناء ٣٠ سفينة مع ٣٠٠ مدفع و٣٠الف سهم و٤٠ قنطارا من البارود وغير ذلك من نحاس

(٢٣) للتفاصيل ينظر: مصر في عهد المماليك الجراكسة، ابراهيم علي طرخان :٢٩٦.

(24) Cambridge History of Africa 1050-1600, R.B. Sergeant,(1977) Cambridge: 3\181; A History of Ethiopia, Mauro Jones,(1978) Oxford:62;

(٢٥) بين العرب والحبشة ، عبد المجيد عابدين ، (١٩٤٧) بيروت : ١٩٠-١٩٥

(26) A History of Ethiopia:62;

صراع المسلمين مع البرتغاليين:٨٩

وحديد واموال لشراء معدات اخرى وصلت الى بولاق في عام ١٥١١م استقبلها السلطان بنفسه، وقد وصلت تلك المعدات سالمة على الرغم من وفاة كمال ريس في الطريق اثناء عاصفة هبت عليه[٢٧]

في عام ١٥١١ م كان البوكيرك قد سيطر على ملقاوهو ما يعني ضرب التجارة المملوكية وحرمانها من اسواقها التقليديةواعتبر ذلك خدمة للرب كما قال لجنده قبل بدء المعركة:" لا نها ستخمد نار هذه الطائفة المحمدية كي لا تعود للظهور ابدا ، وانا شديد الحماسة لمثل هذه النتيجة ، فاذا استطعت الوصول اليها فسيترك المسلمون الهند كلها لنا ، ان غالبيتهم وربما كلهم يعيشون على تجارة هذه البلاد ولقد اغتنوا واصبحت لديهم ثروات ضخمة، وملقا هي مركزهم الرئيس منها ينقلون كل عام التوابل والادوية الى بلادهم دون ان نستطيع منعهم فاذا تمكنا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميناء واحد او محطة واحدة مناسبة في كل هذه المنطقة ليستمروا في تجارتهم، واوكد لكم انه اذا استطعنا تخليص ملقا من ايديهم ستنهار القاهرة وبعدها مكة نهائيا، وعلى البندقية ان ترسل تجارها الى البرتغال اذا ارادت شراء التوابل" ، وبعد احتلال ملقا عمت الفرحة اوربا كلها ودعا البابا الى اقامة قداس شكر واخذ البرتغاليون ينكلون بالمسلين ويقتلون الالاف منهم، ومع هذا فقد انتشر الاسلام كرد فعل للمعاملة السيئة للمسلمين الذين انتقل مركزهم من ملقا الى اتشيه في جزيرة سومطرة[٢٨]،ثم اعلن ان هدفه التالي مكة لذا؛قام والي جدة المملوكي بتحصينها في ١٥١١م[٢٩].وبالفعل خرج البوكيرك الى البحر الاحمر عام ١٥١٣م على راس حملةاستهدفت عدة مناطق منها عدن وسواكنالتي ادهشته باتساع رقعتها وجمالها الاان المماليك هرعوا لنجدتها ولولا مساعدتهم لسقطت بيده، وكان هدفهالاتصال بالأحباش، فقد ارسل الى ملك الحبشة يحثه على تحويل مجرى النيل ويعده بتقديم الدعم له، كما تعهد له بأرسال جيش من الفرسان لمهاجمةمكة[٣٠].

في هذا الوقت كانت الحبشة تخوض صراعا عنيفا مع الممالك الاسلامية على الساحل الشرقي لأفريقيا في عهد ملكها لينا دنجل الذي كان من اشد حكام الحبشة تعصبا ضد الاسلام ، وقد ساعده الوجود البرتغالي في البحر الاحمر على التنكيل بالمسلمين ، فقد هاجم مملكة عدل وقتل اميرها واحرق مدنها وخرب قلاعها

(٢٧) بدائع الزهور: ٢٠٣/٤؛ النشاط البحري لكمال ريس : ٤١٣

(٢٨)الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي، راغب السرجاني ، ط٧، (٢٠٠٧) القاهرة :٣٢٦/٢-٣٢٧

(29) The Portuguese:50-15

(30) The Ottoman Turks: 34;

الفتح العثماني للأقطار العربية :١٦١؛ صراع المسلمين مع البرتغاليين:١٣٨

وقتل من سكانها مقتلة عظيمة واعتصم الباقون في الجبال، في الوقت الذي كان فيه البوكيركيهاجم زيلع ثم انسحب منها بعد احراقها ، ثم دخل جزيرة قمران واوقع باهلها مذبحة كبيرة ، ومن هناك بدء يفكر بأنزال قواته في ينبع لغزو المدينة المنورة ، الا ان الرياح حالت دون وصوله الى ينبع فعمد الى حصار جدةباعتراض سفن المعونةالقادمة من بربرة وزيلع ومصوع [٣١]،مع حلول الشتاء قرر البوكيرك العودةالى المحيط الهندي في شهر حزيران١٥١٣وفي طريقه هاجم عددا من المدن منها زيلع وعدن ، ثم وصل الى المحيط الهندي فاحتل كلكتا عام ١٥١٥ [٣٢]

وفي اعقاب حملة البوكيرككانت الاستعدادات في ميناء السويس تجري على قدم وساق منذ عام ١٥١٤لأرسال حملة جديدة الى الهند بمساعدة العثمانيين، فقد اشرف البحار العثماني سلمان ريس[٣٣]على بناء اسطول جديد، وقد بلغ عدد المقاتلين العثمانيين الذين تطوعوا للعمل في الاسطول المملوكي٢٠٠٠ مقاتل ، اولى السلطان المملوكي اهتماما كبيرا بهذاالعمل حتى انه سافر بنفسه الى السويس وشهد انزال بعض السفن الى البحر ، كما انه تكفل بمصاريف تلك الحملة من ماله الخاص ،الا انها ما ان وصلت الى عدن عام ١٥١٥م حتى واجهت مشاكل وانتهتبالانسحاب الى جدة عام ١٥١٦[٣٤]، وهكذا بذل المماليك جهدا للتصدي للحلف الحبشي البرتغالي في البحر الاحمر والمحيط الهندي حتى نهاية دولتهم وبمساعدة عثمانية.

بين العرب والحبشة: ١١٨-١١٩؛ مصر في عهد المماليك الجراكسة: ٦٦ (31)The Ottoman Turks:22,3

(٣٢) ينظر: بدائع الزهور:٤/٣٠٨-٣١٠؛ صراع القوى في المحيط الهندي : ١٣٢-١٣٣.

(٣٣) **سلمان ريس**: هو احد قادة البحر ارسلته الدولة العثمانية على راس مساعدات عسكرية للماليك، قاد الاسطول المملوكي مع الامير حسين الكردي في حملته على البرتغاليين عام ١٥١٤، ثم تولى على جدة بعد مقتل حسين الكردي. ينظر: بدائع الزهور:٤/٣٦٦؛ البرق اليماني في الفتح العثماني ، قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي ، (١٩٦٧) ، الرياض : ٢٣-٢٥،٣٧-٥٨

(٣٤) بدائع الزهور : ٤/٣٦٥-٣٦٦؛

The Evolution of The Ottoman Seaborut Empire In The Age of Oceanmic Dissoveries1453-1525, Andrew C. Hess, in American Historical Review, vol,LXXV,N.7,December,(1970):1908;

الصراع الاسلامي البرتغالي واثره في حركة التجارة الدولية ١٥٠٠-١٧٣٠، رياض محمود الاسطل ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة السند ، (١٩٩١) باكستان :٢٧٧

ثانيا– العثمانيون والتحالف الحبشي البرتغالي:

أ–الموقف العثماني من التحالف الحبشي البرتغالي ١٥١٧–١٥٢٩

ذكرنا فيما سبق ان الحبشة ارسلت ماثيو الارمني الذي وصل الى البرتغالولم يسمح له بالعودة حتى عام ١٥١٥ مع بعثه ارسلها البرتغاليون الى ملك الحبشة ، وارسلت هذه البعثة على متن اسطول ارسل خصيصا الى هناك يقوده لبو سواريز (استلم منصب نائب الملك في الهند بعد وفاة البوكيرك عام ١٥١٥) ، وقد ارسل الوفد في هذا التاريخ تحديدا للتعاون من اجل قطع الطريق على الحملة التي ارسلتها الدولة المملوكية عام ١٥١٥ والتي كان هدفها القواعد البرتغالية في المحيط الهندي (كما اسلفنا) ، وفي هذا الوقت كانت الحبشة تعاني من ضغط اخر من جانب امارة عدل، فقد كانت ثورة الامام محفوظ الذي كان قد ظهر منذ عام ١٤٨٠ م، واستطاع ان يقود مسلمي امارة عدل وان يحقق انتصارات على الاحباش ، الا انهم تمكنوا من هزيمته وقتله عام ١٥١٦ واستولوا على مملكة عدل وكان الاحباش قد استنجدوا بالبرتغاليين لمساعدتهم، وبالفعل ارسلت البرتغال قوة عسكرية بحرية الا انها وصلت بعد مقتل الامام محفوظ،فاحتلت مدينة زيلع عام١٥١٧م واحرقتها وفي العام نفسه سيطرت على مصوع وحاولت مهاجمة جدة الا انها فشلت في الاستيلاء عليها، وتعرضت مدينة بربره احد اهم موانئ امارة عدل عام ١٥١٨ الى هجوم برتغالي وحشي[٣٥]وكان للوجود البرتغالي في هذه المدن اثره في قطع الطريق على انصار الامام محفوظ لاستعادة قوتهم على الرغم من انه لم يتخذ صفة الاستمرار.

كانت الفرصة مواتية لهم لاختراق البحر الاحمر فالعثمانيون منشغلون بترتيبات ما بعدالسيطرة على مصر ،وما ان استقر المقام بهم فيهاحتى اتخذوا اجراءات للرد على الوجود البرتغالي بعد ان استنجد بهم مسلمي امارة عدل على اثر مقتل الامام محفوظ والهجمات الاخيرة للبرتغاليين،، فارسل السلطان سليم الاول(١٥١٢–١٥٢٠) على الفور قوات عسكرية مزودة بالأسلحةالنارية استطاعت اثبات وجودها في كل من سواكن وزيلع ومصوع عام ١٥١٧ ووضعت هذه القوات تحت سلطة باشا جدة سلمان ريس– والذي بذل جهودا في صد الهجوم البرتغالي على جدة عام ١٥١٧ المار الذكر–وكان قد اعلن ولاءه للسلطان العثماني وطلب منه المساعدة للدفاع عن المنطقة في رسالة بعث بها اليه، كما ذكر ان طلب المساعدة جاء

(35)The Ottoman Turks:56; The Cambridge History of Africa1050-1600, Roland Olver ,(edt),(1977), Cambridge:3\166-167;

KIZILDENİZ'DE OSMANLI HÂKİMİYETİ: ÖZDEMİROĞLU OSMAN PAŞA'NIN HABEŞİSTAN BEYLERBEYLİĞİ (1561-1567), Reyhan Şahin Allahverdi, Studies of The Ottoman Domain, calt. 3, sayi.5. Agustos,(2013):36

بناء على استنجاد اهالي المنطقة بالسلطان[٣٦]،وقد استجاب السلطان لهذا الطلب وارسل تعزيزات مهمةاليه وصلت عام ١٥١٩[٣٧]، وعلى هذا اصبحت دول شمال شرق افريقيا الإسلاميةاسميا ضمن السيادة العثمانية منذ عام ١٥١٧

وفي اتجاه اخر عمل العثمانيون على ترسيخ وجودهم في تلك المناطق بأرسال الدعاة ورعاية الدعاة المحليين الذين تلقوا علومهم في مصر ومن اشهر هؤلاء محمود العراقي الذي ولد في السودان ودرس في مصر ايام الفتح العثماني وعاد عام ١٥٢٠ واقام بمساعدة العثمانيين قلعة على النيل الابيض وبنى ١٥ مدرسة دينية[٣٨] ، وفي العام نفسه ارسلت البرتغال بعثة الى الحبشة بقيادة ردريكو دي ليما واعطت تعليمات للوفد بإقامة علاقات ودية مع الحبشة وطلب المساعدة في بناء قلعة في جزيرة قمران او مصوع ، فاتفق الطرفان على التعاون لبناء قلعة في مصوع او سواكن وان يقوم الاحباش بأمداد البرتغال بالرجال والمؤن لغزو مصر، وفي المقابل تعهد البرتغاليين بأرسال معونة للحبشة لغزو زيلع والقضاء على امارة عدل لان الاستيلاء عليها سيقطع الامدادات عن جدة وعدن ومكة في الوقت نفسه، فهي قاعدة مهمة لتموين الاساطيل البرتغالية، كما حاول رئيس البعثة اقناع ملك الحبشة بان السيطرة البرتغالية عل سواحل الحبشة المطلة على البحر الاحمر ستكون لحمايتها من أي هجوم عثماني [٣٩] .

الا ان الملك الحبشي رفض مسالة احتلال سواحل الحبشة ورأى في ذلك نوع من الوصاية ، فضلا عن الخلافات المذهبية بين الاحباش والبرتغاليين ، وقد اطلع الملك الحبشي على خارطة توضح موقع البرتغال فتبين له صغر هذه الدولة بعكس ما اخبره المبعوثين البرتغاليين عن قوتها وامكانيتها ، واظهرللوفد انه يشك في قدرتهم على مجابهة العثمانيين لوحدهم لذا طلب اشراك فرنسا واسبانيا، الا ان المبعوث البرتغالي غضب ودافع عن قدرة بلاده على اكتساح العالم الاسلامي[٤٠] ، ومع وجود هذه الخلافات الا ان الملك الحبشي كان شديد الكره للمسلمين وهذا ما لمسه البرتغاليون الذين استمروا بالتعاون معه،فقد هبطت قوه برتغالية

(36) Başbakanlik Osmanli Arşivi,Kamil Kepeçi, Ruus Deftere, no. 211;

وثائق عثمانية بحرية عن قبودان السويس والدور العثماني في مجابهة البرتغاليين ، اعداد محمد محمود خليل (د.ت)، القاهرة الوثيقة رقم(٧٣)

(٣٧) صراع المسلمين مع البرتغاليين:٩٠-٩١

(٣٨) الفتح العثماني للأقطار العربية : ١٦٣

([٣٩])تاريخ ارتريا :١٢٨؛العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية والمسيحية في الحبشة:١٦٧-١٦٨

(٤٠) الفتح العثماني الاول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥،سيد مصطفى سالم،ط٢،(١٩٧٤)، القاهرة : ١٠٨-١٠٩

في ١٠ نيسان ١٥٢٠ في مصوع ،وعلى الرغم من بساطة المدينة التي لا يوجد فيها سوى مبنيين- هما المسجد ودار الامارة وبقية المساكن من القش- ، الا ان لمينائها اهمية كبيرة لذا احتلوا المدينةوحولوا مسجدها الى كنيسة، وبالسيطرة على الميناء تدهورت حركة التجارة وهرب منها التجار اليمنيين والهنود ، وقاوم الاهالي هذا الاحتلال ورفض اميرها اعطاء دليل للبعثة البرتغالية يوصلها الى الحبشة فعثروا على دليل ارمني الا انه مات متأثرا بالحمى في منتصف الطريق [٤١].

لهذا زاد اهتمام السلطان سليمان القانوني(١٥٢٠-١٥٦٦) بالبحر الاحمر فأعاد تنظيم الأسطول والقوة البحرية المصرية ، وامر ببناء السفن في دار الصناعة ببولاق، ورتب نظام خاص لإدارة السواحل المصرية وضعه تحت اشرافه المباشر[٤٢]، ومع تزايد النشاط العثماني وبعدمحاولتهم السيطرة على اليمن ، رأى الاحباش والبرتغاليون ان يعيدوا تنسيق جهودهم ،فالبرتغاليون ارسلوا حملة عسكرية بقيادة دي سلفيرا الى مصوع عام ١٥٢٤ الا انها لم تنجح في الاتصال بالأحباش نتيجة تيقظ العثمانيين، فعادت مرة اخرى عام ١٥٢٦ ونجحو في مقابلة الملك الحبشي الذي ارسل بدوره مبعوثا الى ملك البرتغال هو صاجازاب حمله فيها رسالتان احداهما الى ملك البرتغال واخرى الى البابا كليمنت السابع (١٥٢٣-١٥٣٤) يتضمنان دعوة الى اقامة حلف بين الجانبين يتكفل فيه ملك البرتغال بمساعدة الاحباش في حربهم ضد العثمانيين مقابل موافقة ملك الحبشة على ضم الكنيسة الحبشية الى الكنيسة الغربية[٤٣].

في هذا الوقت كانت قد اضطربت اوضاع مصر بسبب عصيان احد ولاتها الا ان حركته قمعت ، وعلى اثرها ارسلت الدولة العثمانية ١٥٢٤ الصدر الاعظم ابراهيم باشا(١٥٢٣-١٥٣٦) الى مصر في مهمة تفتيشية من اجل ضبط الامور واستصلاحها، وكان برفقته البحار محيي الدين بيري ريس [٤٤] ، وقد نبه هذا البحار الصدر الاعظم الى ان تأخذ الدولة العثمانية زمام المبادرة في البحر الاحمر والمحيط الهندي بعد تعاظم الخطر البرتغالي ، وقد ضمن تلك الدعوة في كتابه (بحرية) الذي قدمه الى الصدر الاعظم

(٤١) تاريخ ارتريا: ١٢٨-١٢٩

(٤٢) صراع المسلمين مع البرتغاليين :٢٠٧

(٤٣) العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية والمسيحية في الحبشة :١٦٨

(٤٤) **محيي الدين بيري ريس** : هو محيي الدين ابن الحاج محمد ولد على الراجح عام ١٤٦٥ في مدينة غالبولي وهو بحار وجغرافي عثماني معروف وحياته مليئة بالإنجازات في مجال علوم البحار والجغرافية من اشهر كتبه كتاب بحرية. للتفاصيل عنه ينظر : البحار العثماني محيي الدين بيري ريس حياته وجهاده البحري ١٤٦٥-١٥٥٤، نسيبة عبد العزيز عبدالله الحاج علاوي ، مجلة التربية والعلم ، عدد ٤ ، مجلد١٦، جامعة الموصل ٢٠٠٩: ٧٦-٨٥

ابراهيم باشا اثناء وجوده في مصر ، وذكر الدولة العثمانية بدورها بالتصديللبرتغاليين الذين تجرأوا على الاقتراب من الديار المقدسة واستحوذوا على تجارة الهند مع اوربا(٤٥)

وقد اعطى الصدر الاعظم ابراهيم باشا اهمية لهذا الموضوع ، فعمد الى جعل السويس قاعدة اساسية للعمليات الحربية في البحر الاحمر والمحيط الهندي بعد ان نظم شؤنها البحرية، بدا بأرسال حملة عسكرية للسيطرة على اليمن بقيادة احدالبحارة ويدعى خير الدين حمزه عام ١٥٢٥يرافقه سلمان ريس قائد الاسطول العثماني فوصل الى جدة في العام نفسه، ومنها الى اليمن، ودخل في صراع مع البرتغاليين الذين كانوا يقومون بعمليات سلب ونهب على السواحل اليمنية ، الا انه حدث صراع بين قادة الحملة انتهى بمقتل القائد العام لها خير الدين حمزه وقائد الاسطول سلمان ريس فآثر مصطفى بهرام ابن اخت سلمان ريس ان لا يدخل في هذه الصراعات التي توثر على هدف الحملة، فقرر الخروج الى المحيط الهندي عام ١٥٢٩مع مساعده صفر ريس (رئيس ملاحي سلمان ريس وابنه) بما تبقى من الاسطول والعمل في خدمة سلطان كجرات بعيدا عن مشاكل اليمن بعد ان حصن جزيرة قمران وزودها بما تحتاجه(٤٦)، وبهذا التاريخ خرج العثمانيون من اليمن ولم يعودوا اليها حتى عام ١٥٣٨م.

وكان سلمان ريس قد قدم تقريرا عن تلك الحملة قبل ان يقتل بعنوان " بيان السفن والمدافعالتي تمت تهيئتها في ميناء جدة لمواجهة البرتغاليين الملحدين " تحدث فيه عن اعداد ١٨ سفينة مع زوارق مختلفة الاحجام و١٨٧ مدفعا من مختلف الانواع والاحجام والحشوات والمواد اللازمة لها و٩٤ من المدفعيين والا سطوات والفنيين؛ فضلا عن ١٠٠٠مقاتل ، للتصدي للبرتغاليين في البحر الاحمر وخليج البصرة وبحر عمان والمحيط الهندي ، كما تحدث في تقريره عن التواجد البرتغالي في المحيط الهندي في الفصل الذي بعنوان" بيان الولايات التي استولى عليها البرتغاليون الملحدون في بلاد الهند" ودعا الى احكام السيطرة على اليمن لأنها كما يقول (مفتاح الهند) واكد على ضرورة التواجد العثماني في سواكن وزيلع بشكل دائم ،

(45) The Evolution of The Ottoman:1914;

البحار العثماني محيي الدين بيري ريس:٨١

(46) The Ottoman Turks:59; History of The Ottoman Empire to 1730, V.J. Parry,(1976) Cambridge:90.

وحذر ان البرتغاليين يخططون للاستيلاء عليهما فاذا حدث ذلك فانهم سيتحكمون بالبحر الاحمر حتى السويس(٤٧)

ب- الدعم العثماني للأمارات الاسلامية في ساحل افريقيا الشرقي

من جل احباط مخططات البرتغاليين في السيطرة على السواحل الشرقية لأفريقيا والتحالف مع الحبشة عمدت الدولة العثمانية الى دعم الامارات الاسلامية التي كانت قائمة على الساحل الشرقي لأفريقيا ، والتي تسمى امارات الطراز الاسلامي(٤٨)او ممالك الزيلع ، نسبه الى مدينة زيلع ، وكانت امارة عدل تقوم بالعبء الاكبر في جهاد الاحباش وحلفائهم ، وقد تزامن وجودهم في هذه المناطق مع الحرب التي اعلنها الأمام احمد بن ابراهيم(٤٩)-الملقب (غران)أي الاعسر- عام ١٥٢٣م ضد الاحباش ،وكانت حربه هذه ردا على اعتداءاتهم المستمرة والتي تمارس فيها كافة انواع الانتهاكات وكانوا يدفعون الجزية لهم(٥٠)،وتمكنالامام احمد من توحيد امارات الطراز الإسلاميةواتخذ مدينة هرر عاصمة له ودعا الى العودة الى الشريعة الاسلامية، وكان يدرك خطورة التحالف البرتغالي مع الاحباش ؛ لذلك استعان بالعثمانيين وقد احرز انتصارات كبيرة عليهم اوصلته الى مركز حكمهم في بيت امحرة(٥١)،وامده والي مصر بجيش يتألف من عدد كبير من البشناقيين والالبان فضلا عن الاسلحة النارية بما فيها المدافع وتمكن من طرد الاحباش من المناطق

(٤٧) وثيقه مؤرخه في١٠ شعبان ٩٣١هـ ٢ حزيران ١٥٢٥م ،منشوره في كتاب البلاد العربية في الوثائق العثمانية النصف الاول من القرن ١٠هـ ١٦م ، فاضل بيات ،(٢٠١٠) ، استانبول: ١/١٢٢-١٢٦

(٤٨) امارات الطراز الاسلامي: جاءت هذه التسمية نتيجة لموقع الاقليم من البحر لأنها على جنبه كالطراز للبحر وقد قسم هذا الاقليم الى سبع ممالك او امارات هي اوفات ودوارو واربيني وهدية وشرخا وبالي ودارة وتعتبر امارة اوفات اكبر تلك الامارات وهي التي تتزعمها . للتفاصيل عنها ينظر : الالمام : ٦-٨؛

Islam in Ethiopia, J. Spenser Trimingham,(1952) Oxford:58-74

(٤٩) **احمد بن ابراهيم**: وهو صومالي الاصل ولد على الارجح عام ١٥٠٦ وهو ابن احد القساوسة ترك موطنه ودخل الاسلام عندما هاجر الى امارة عدل. للتفاصيل عنه ينظر: تحفة الزمان او فتوح الحبشة ، شهاب الدين احمد بن عبد القادر الجيزاني ، تحقيق: فهيم محمد شلتوت (١٩٧٤) القاهرة: ٢١٩؛ الدعوة الى الاسلام ، توماس ارنولد، ترجمة وتعليق: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي، (١٩٧١) القاهرة : ١٣٧؛ الاحباش بين مارب واكسوم، ممتاز العارف ،(١٩٧٥) بيروت: ٨٨

(٥٠) الدعوة الى الاسلام:١٣٧؛ تاريخ ارتريا :١٢٩. يذكر توماس ارنولد ان تاريخ اعلانه الحرب على الحبشة هو ١٥٢٧ الا ان الصحيح ما ثبتناه في المتن باتفاق اغلب المصادر

(٥١) **بيت امحرة**: يقع في اقليم امحرة الذي يمتد شرق بحيرة تانا ليتصل بإقليم شوى وبه عدة مدن هامة واهم ما يميزه وجود بيت امحرة مركز الحكم الاثيوبي الذي اقيم في موقع خصيب محاط بالجبال والطرق المؤدية اليه ذات ابواب وعليها حراس ، ينظر: تحفة الزمان: ١٨٨-١٨٩

الساحلية وبمساعدة عثمانية ايضا ، فقد ساعده الانكشارية على تشكيل جيش صغير لكنه منضبط ومجهز بأسلحة نارية وكان العرب المحليون نواة هذا الجيش اضافة الى بعض الوحدات الأفريقيةالصومالية ، وبعض تشكيلات المتطوعين من جنوب شبه الجزيرة العربية (٥٢)

كانت تلك المساعدات سببا في احراز النصر على الاحباش ولاسيما في المراحل الاولى من الحرب ،وعلى الرغم من ان جيش الملك الحبشي اكثر عددا من جيش الامام احمد الا انه سيء التنظيم رغم وجود الاسلحة النارية لديه والتي كان البرتغاليون يمدونه بها من حين لآخر(٥٣)، وقد اعطى هذا الدعم للأحباش قوة امام القوى الاسلامية المحلية والعثمانية ، ومع هذا الدعم الا ان النصركان للأمام احمد فقد نقل الصراع الى ارض الحبشة لأول مرة، وحدثت معارك عديدة منها معركة انطوكية عام١٥٣١ ثم اعقبتها معركة اخرى عام ١٥٣٣م كانت نتيجتها خسارة كبيرة للأحباش مما اضطرهم الى عقد الصلح مع الامام ودفعوا له الجزية، وقد عدت هذه الفترة العصر الذهبي لأمارة عدل الاسلامية (٥٤)، ثم واصل هجماته عليهمبمساعدة العثمانيين ووضع يده على معظم بلاد الحبشة ولم يبق منها بيد الاحباش الا اجزاء قليلة جنوب النيل الازرق ، واصبح الملك الحبشي مطاردا يملاه الياس والخوف، واصابه الذهول لما حدث لمملكته بهذه السرعة فعاود الاتصال بحلفائه البرتغاليين مستنجدا بهم ، فارسل اليهم بعثة عام ١٥٣٥بقيادة جون برمودزالا انها تعرضت الى متاعب عديدة من الامام احمد والقوات العثمانية التي منعت الاتصال بين الطرفين وانتهى امر البعثة بوقوع افرادها بيد قوات الامام احمد عدا شخص واحد هو قائد الحملة الذي تمكن من الفرار الى ميناء مصوع ومنه الى البرتغال، وقد علم منه ملك البرتغال حرج الموقف الحبشي ، فارسل الى نائبه في الهند يأمرهبأمدادها بمعونة عاجلة من الرجال والاسلحة وقد كلفه بأرسال اسطولا برتغاليا مزودا ب٤٥٠ جنديا، كما عرج الرسول من البرتغال في طريقة الى البابا لطلب المساعدة ، ولم يصل الهند الا عام ١٥٣٩(٥٥)

(٥٢) الفتح العثماني للأقطار العربية : ١٦٤

(٥٣) البرتغاليون في شرق افريقيا وطردهم منها ،عبد الرزاق علي عثمان ،مجلة الوثيقة، العدد١٤، السنة السابعة يناير ،البحرين، ١٩٨٩:٤٢؛ تاريخ العالم الاسلامي الحديث: ٢٥٢/٢

(٥٤) تاريخ الشحر : ١٢٠؛

Ottoman Empire's Relations With Southern Africa , Ahmat kavas, (2007),Düifd XLVIII,Astanbul:12

(55)The Portuguese(Moner):6; A Short History of Eritrea, S,H. Longragg, (1945), Oxford:48

في تلك الاثناء كانت الدولة العثمانية قد علمت باستنجاد ملك الحبشة بالبرتغاليين ، فصممت على التحرك باتجاه الهند ،وكان مسلميها قد ارسلوا وفودهم الى السلطان سليمان القانوني يستنجدون به ،منها وفد كلكتا الذي وصل عام ١٥٢٧ووفد ديو الذي وصل عام ١٥٣٢وفي عام ١٥٣٦ وصل وفدين اخرين احدهما من سلطان دلهي اسكندر اوغلي برهان بك والاخر من حاكم ولاية كجرات السلطان بهادور شاه (١٥٢٧-١٥٣٦) وقد تراس الوفد الاخير صفر ريس المار الذكر، الذي اظهر سخاء بالغا في توزيع الهدايا على كبار الرجال الدولة العثمانية ووعدهم بتغطية نفقات ارسال عشرة الاف جندي عثماني الى الهند، وكان البرتغاليون قد سيطروا على ميناء ديو بالقوة ، وقد ضعفت مقاومة كلكتا للغزو البرتغالي واضطر حاكمها في احيان كثيرة الى عقد الصلح معهم ، لذا عمدوا الى الاتصال بالعثمانيين وطلب الامداد العسكري ، وقد علم البرتغاليين بما قام به بهادور شاه فقتلوه واقاموا حاكما اخر مكانه(٥٦)

وكان السلطان قد امر والي مصر سليمان باشا الخادم(٥٧)منذ عام ١٥٣٢بالاستعدد للخروج الى المحيط الهندي، وامرهبإصلاح احواض بناء السفن المملوكية في السويس والمباشرة ببناء سفن حربية ضخمة(٥٨) ، مع ان الامر لم يكن بهذه البساطة ففي صحراء السويس القاحلة المحيطة بمدينة السويس والتي لا بشر فيها ولا مياه ولا مواد للبناء يصعب العمل ، ومع ذلك بوشر ببناء الاسطول وانتشرت في السويس حركة البناء،وتواجد فيها العمال والبحارة من كل مكان ، وكانت اخشاب السفن والأعتدة والتجهيزات تنقل من

(٥٦) دولت عثمانية تاريخي، هامه ر، ترجمة : محمد عطا (١٣٣٠هـ) ، استانبول: بشنجي جلد/ ٢٠٥-٢٠٦؛

The Ottoman Turks:89;

علاقات الدول الاوربية بمنطقة الخليج العربي في الفترة١٥٨٠الى١٦٤٠،نصر الدين عبد الحميد نصر،(٢٠٠٧)،القاهرة :٩٢

(٥٧) **سليمان باشا الخادم** : احد قادة البحر العثمانيين اشتهر بالشجاعة وحسن التدبير وهو من كبار اداريي الدولة وعلى الرغم من شدة طبعة فانه اداري ذكي ويتمتع بالجسارة والاقدام وكان قبل ان يتولى قيادة هذه الحملة يشغل منصب والى مصر ، تصفه بعض المصادر بالغدر وبعضها لا تجعل له أي ميزة ، للتفاصيل عنه ينظر : حقائق الاخبار عن دول البحار، اسماعيل سرهنك،(١٣١٢هـ)، القاهرة:١/٥٤٧ ؛ دولت عثمانية تاريخي : بشنجي جلد/ ٢٠٦؛

Süleyman Paşa Hadim,Islam Ansiklopedisi, XI (1940) , Istanbul:194; Süleyman Paşa Hadim ,Erhan Afyoncu, Turkiye Diyant Vikfi Aslam Ansiklopedisi ,XXXVIII (1991), Istanbul:96-67

(٥٨) دولت عثمانية تاريخي : بشنجي جلد/ ٢٠٦؛

للتفاصيل عن الحملة ينظر:

KIZILDENİZ'DE OSMANLI HÂKİMİYETİ:37-38

كليكيا في اسيا الصغرى بحرا الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة بواسطة نهر النيل ومن القاهرة الى السويس على ظهور الجمال ، وتولى امهر الصناع مهمة صب المدفعية، غير ان اكثر ما اثار قلق البرتغاليين صنع ٩ مدافع عملاقه بإمكانها اطلاق قذائف تزن الواحدة ١٠٠ كيلو غرام ، والذي اثار الدهشة والقلق ليس مجرد صب المدفع وانما نقلها عبر برزخ السويس (٥٩)

وقد كان الخطر البرتغالي على البحر الاحمر وامارة عدل قد عجل من خروج الحملةعام ١٥٣٨ على الرغم من ورود انباء عن مقتل سلطان كجرات بهادور شاه على ايدي البرتغاليين وتولي محمود شاه الحكم هناك ، وقد اثار مقتله السلطان سليمان القانوني وصمم على نصرة مسلمي الهند ، توجهت الحملة الى اليمن ونجح سليمان باشا الخادم في اعادتها الى الحكم العثماني بعد ان قتل اميرهاالذي اعلن الخضوع للعثمانيين الا انه لم يثق به فقد كان على علم مسبق بعلاقاته مع البرتغاليين(٦٠)

بعد ذلك اتجه الى المحيط الهندي وحقق بعض الانجازات هناك الا انه لم يلق التعاون من حكام الامارات الاسلامية خاصة سلطان كجرات الجديد محمود ، فعندما رأى المدافع المخيفة والاف الخيالة ظن ان العثمانيين بعد ان يسيطروا على ديو سوف يدخلون امارته ويقضون على حكمه، لذا اضطر الى العودةبأسطوله بعد ان فشل في حصار ديو ، وفي طريق عودته اخضع بعض مناطق الخليج العربي وقدم المساعدات للأمام احمد الذي كان لايزال يقاتل الاحباش وعاد الى مصر ومنها الى استانبول حيث استقبله السلطان بمراسيم خاصة واقر الديوان انه حقق حملة ناجحة ومفيدة(٦١)، فعلى الرغم من عدم تمكنه من القضاء على القواعد البرتغالية في الهند الا ان حملته امنت عدن وجدة لفترة طويلة كما ان المناطق التي سيطر عليها في الخليج العربي يمكن ان تكون قواعد متقدمة لتامين البحر الاحمر بل انها اثارت رعب البرتغاليين الذين اندفعوا لدعم الاحباش كما سنلاحظ.

---

(٥٩) الفتح العثماني للأقطار العربية:١٣١

(60) Ottoman Empire's:12.

بعد ان سيطر سليمان باشا على اليمن ارسل تقريرا عن فتحها الى السلطان سليمان القانوني مؤرخ في ٩ اب ١٥٣٨تحدث فيه عن مراحل الفتح واسباب قتله لحاكم عدن. ينظر: نص التقرير في البلاد العربية في الوثائق العثمانية : ١٣٢-١٣٩

(٦١) دولت عثمانيه تاريخي : بشنجي جلد/ ٢٠٧-٢٠٨ ؛

Islam in Ethiopia:76-77;

تاريخ الدولة العثمانية ،يلماز اوزتونا،ترجمة:عدنان محمود سلمان،(١٩٨٨)،استانبول :١/ ٣٢٨-٣٣٠

وبالعودة الى التحالف الحبشي البرتغالي ، فقد ذكرنا ان الملك البرتغاليارسل الى نائبه في الهند يطلب منه دعم الاحباش لكنه لم يصل حتى عام ١٥٣٩ ، ففي تلك الاثناء كان البرتغاليون في الهند مشغولين بالنتائج التي ترتبت على حملة سليمان باشا الخادم ومع ذلك فقد ارسلوا حملة عسكرية وصلت الى البحر الاحمر عام ١٥٤٠ الا ان الملك الحبشي كان قد توفي وحل محله ابنه كلاوديوس (١٥٤٠-١٥٥٩)، ومع استلامه الحكم كان الجزء الجنوبي والاوسط من الحبشة بكامله تحت سيطرة الامام احمد واعتنق الاسلام ٩٠٪ من سكان تلك المناطق كما تشير الى ذلك اغلب الروايات وانهارالجيش الحبشي ولم يعد قادرا على الاحتفاظ بالمناطق الجبلية النائية الا بصعوبة بالغة وكان لينا دنجل مختبئا مع وحدة عسكرية صغيرة في المناطق الصحراوية وجبال تغراي[٦٢] وكان من نتائج جهود الامام احمد ان ازداد عدد المسلمين؛ بل ان المسلمين الذين تنصروا جبرا تحت التهديد عادو الى الاسلام ودخلت قبائل الجالا [٦٣] الوثنية الى الاسلام،ونشط التجار المسلمون في بلاد الحبشة واسلم على ايديهم اناسا كثيرون[٦٤].

هكذا كانت المملكة الحبشية على حافة السقوط الا ان وصول البرتغاليين الى البحر الاحمر عام ١٥٤٠ غير ميزان القوى لصالح الاحباش فبعد هذا التاريخ دخل البرتغاليون الحرب بشكل مباشر الى جانبهمعندما ارسلوا حملة مؤلفة من ٧٢ سفينة وعددا كبيرا من الذخائر الحربية تحت قيادة استيفان دي كاما ابن البحار البرتغالي فاسكو دي كاما ومعه ٤٥٠ جنديا برتغاليا[٦٥]

بدا البرتغاليون اولى عملياتهم العسكرية عام ١٥٤١ عندما نزلوا في مصوع وحاولوا ارسال ١٠٠ جندي برتغالي من الرماة المزودين بالأسلحة النارية عبرها الى الحبشة كطليعة لإمداداتهم العسكرية ، الا ان قوات الامام احمد بمساعدة الانكشارية تصدت لهم وأبديت هذه القوة بالكامل ولم ينج منهم سوى جنديان تمكنا

---

(٦٢) الفتح العثماني للأقطار العربية:١٦٥

(٦٣)الجالا: وهي قبائل ناطقة بلغة التغري سكنت المناطق الجنوبية والشرقية من الحبشة ثم بدأت بالتوغل الى الداخل واستقرت في مناطق قريبة من امارة عدل الاسلامية وتحول معظمهم من الوثنية الى الاسلام، وقد حذرت الارساليات التنصيرية ان هذه القبائل ستتحول كلها الى الاسلام في فترة قصيرة.

Islam in Ethiopia:93

الدعوة الى الاسلام :١٣٨، ٣٨٤-٣٨٥

(٦٤)تاريخ العالم الاسلامي الحديث :٢٥٣.

(٦٥) الفتح العثماني للأقطار العربية:١٦٥؛ ارتريا والحبشة : ٢٨ .

من العودة الى السفن البرتغالية ، فانسحب كرستوفر دي كاما بقواته للبحث عن مكان مناسب لرسو سفنه يمكنه منه اسال الامدادات العسكرية لملك الحبشة فاتجه الى سواكن وانزل جنوده فيها واقع باهلها مذبحة كبيرة انتقاما لقتلاه على ايدي قوات الامام احمد في مصوع[٦٦]، وكان قد طلب من اهلها تزويده بالمرشدين البحريين لكي يصلو الى السويس القاعدة الرئيسية للعثمانيين في البحر الاحمر لكنهم رفضوا الانصياع له فانزل قواته لمهاجمة المدينة فهرب بعض سكانها ولم تستطع حامية المدينة العثمانية المؤلفة من ٤٠ جنديا انكشاريا الدفاع عنها ، فاحرق المدينةوالسفن الراسية في مينائها ثم تابع نهب المدن الساحلية ، وسطى على اغنى مستودعات التموين العثمانية، وبلغ كرستوفر دي كاما مشارف السويس الا ان العثمانيين كانوا قد نقلو سفنهم الى اماكن امينة تحميها المدفعية فلم يجازف بمهاجمتها فعاد من حيث اتى ، وعلى الرغم من ان البرتغاليين وصلوا الى السويس الا ان عودتهم عنها كانت اشبه بالهرب، فقد ارعبتهماساطيل العثمانيين[٦٧].

بعد ان عاد الاسطول البرتغالي خائبا من السويس انزل بعض قواته في مصوع مرة اخرى وقرر هذه المرة انزال فيلق شكله خصيصا لمساعدة الاحباش بلغ عدد افراده ٤٠٠ جندي بقيادة كرستوفر دي كاما وهو الاخ الاصغر للحاكم البرتغالي وقد كتب ملك الحبشة كلاوديوس رسالة الى ملك البرتغال يشير فيها الى هذا الدعم جاء فيها:" ان الكابتن كريستوفر نزل من البحر الى ارضنا وبرفقته ٤٠٠ فرنجي (برتغالي)والعديد من المدافع والبنادق وغيرها من الاسلحة فضلا عن ١٥٠ من الحرفيين والعبيد "[٦٨]، وكان الامام احمد يلاحق هذه القوات مع بعض القوات العثمانية التي ارسلها له بكلر بك اليمن والمؤلفة من ٩٠٠ انكشاري و٢٠٠٠ فارس عربي وعشرة مدافع ،وقدالتقى جيش الامام احمد مع جيش التحالف الحبشي البرتغالي في ٢٨ اب ١٥٤٢في معركة افلا وكانت نتيجتها انتصار تحالف الامام احمد والعثمانيين واسر القائد البرتغالي كرستوفر دي كاما الذي قتل وارسل راسه الى بكلر بك اليمن مصطفى باشا في زبيد[٦٩]، ويعزو ملك

(66)The Portuguese(Serjeant): 99;

الفتح العثماني للأقطار العربية:١٦٧؛اضواء على تاريخ اليمن البحري:٢١٢-٢١٣.

(67)The Portuguese(Serjeant): 100

الفتح العثماني للأقطار العربية:١٦٦؛العالم الاسلامي عشية توسع اوربه:١٨٤

([68])The Portuguese(Serjeant:١٠٠

(٦٩) الفتح العثماني للأقطار العربية : ١٦٧؛ تاريخ الدولة العثمانية : ٢٣٢/١؛

A History of Ethiopia, Paul B. Henze, (2001) Malaysia:88

الحبشة في رسالة بعث بها الى ملك البرتغال هذا الانتصار الذي حققه الامام احمد الى المساعدة العثمانية فيقول متأسفا على مقتل القائد البرتغالي :" ان احمد لا يمكن ان ينتصر عليهم لوحده ان معه بالإضافة الى رجاله ٦٠٠ جندي عثماني وبهذا التفوق في العدد نال النصر..."(٧٠)

ادت هذه المعركة الى تقوية النفوذ العثماني في هذه الإمارة بشكل واسع لكن الامام احمد خشية من هذا النفوذ سرح عددا كبيرا من الانكشارية –الذين كان قد ارسلهم له بكلر بك اليمن– الى زبيد، كما بعث بالفرسان العرب ولم يبق الا على ٢٠٠ جندي عثماني بعدد البرتغاليين الذين احتفظ بهم كلاوديوس فقد كان يخشى من تعاظم النفوذ العثمانيبحيث يطغى على سلطانه وتشير بعض المصادر انه تذمر من مطالب الجنود العثمانيين الكثيرة بالغنائم (٧١) ،ويبدو انه بعد تلك الانتصارات وجد نفسه متمكنا من عدوه لذا لا داعي لتواجد هذا العدد الكبير من القوات العثمانية .

وقداخطأ الامام احمد في حساباته فسرعان ما نشبت الحرب من جديد بينهوبينالاحباش والقوات البرتغالية المتواجدة في الحبشة في شباط ١٥٤٣ ووقعت بين الطرفين معركة سميت معركة (زنطر) على مقربة من بحيرة تانا،فألحقتالهزيمةبقواته في هذه المعركة وقتل اثر طلقة اصابه بها القائد البرتغالي بدرو ليوني الذي كان يقود احد فصائل القوات الحبشية فوقع عن جواده فتبعه وقضى عليه وقطعت راسه ، ثم القي القبض على ابنه(٧٢)،وتفرق قواده الى مجموعات وجيوش عادوا الى المناطق التي جاءوا منها .

وبعد ان قضي على الامام احمد سعى البرتغاليون الى نشر الكاثوليكية في الحبشة وتوسيع نطاق عملياتهم المشتركة ضد القوى الاسلامية ،وكانت لديهمالرغبة في الاستقرار في الحبشة لأشغال العثمانيين عن الخروج الى المحيط الهندي(٧٣)،بعد الخطر الذي شكلته بعثة سليمان باشا الخادم على قواعدهم هناك ، فضلا عن انهم لا يمكن ان يتركوا الحبشة القاعدة المتقدمة لهم في البحر الاحمر، فمن الممكن ان تقع بيد العثمانيين وتتحول الى مملكة اسلامية ، وهو ما يعني جعل طريق الهند جحيما عليهم.

العالم الاسلامي عشية توسع اوربه :١٨٦

(70)The Portuguese(Serjeant):١٠٠

(٧١)الفتح العثماني للأقطار العربية:١٦٧؛ البرتغاليون في شرق افريقيا:٥٧

(٧٢) انتشار الاسلام والثقافة العربية :٤٦١–٤٦٢؛ الفتح العثماني للأقطار العربية : ١٦٧ ؛

A History of Ethiopia:88

(٧٣) الفتح العثماني الاول لليمن: ٣٩٩ ؛ صراع المسلمين مع البرتغاليين :٢٦٧

ومن جانب العثمانيين فقد لفتت حملة كرستوفر دي كاما وما اعقبها من احداث انظارهم الى اهمية ان يكون لهم وجود دائم في البحر الاحمر والتوغل في اراضي الحبشة، ولتحقيق ذلك كان عليهم ان يغلقو البحر الاحمرامام البرتغاليين ، وقد نجحو في هذا المجال واثبتوا وجودهم كقوة فعليه اجبرت البرتغاليين على التراجع في احيان كثيرة، واصبح الاتصال مع الاحباش امرا محفوفا بالمخاطر في بعض الاحيان؛حتى ان نائب ملك البرتغال في الهند اصدر اوامره بمنع أي محاوله للاتصال بالأحباش نظرا للتواجد العثماني حول السواحل الحبشية،واكتفوا بمراقبة ما يدور في الميدان من معارك بين العثمانيين والاحباش عن بعد معتمدين في ذلك على ارسال بعض السفن الاستطلاعية الى سواحل شبه الجزيرة العربية [٧٤].

لأجل هذا الغرض سعى البرتغاليون الى عقد معاهدة سلام مع الدولة العثمانية فأرسلوا سفيرهم ادواردو كتانو الى استانبول عام ١٥٤٤ لعقد الصلح والحصول على امتيازات في البحر الاحمر الا ان طلبهم رفض ، كما رفض طلبهم السابق منذ عام ١٥٤١ بعد فشلهم في حملتهم على السويس[٧٥]،ومن الطبيعي ان ترفض الدولة العثمانية هذا الامر لان تواجدهم في البحر الاحمر وقربهم من الاحباش يشكل خطورة كبيرة على الديار المقدسة فضلا عن آثاره الاقتصادية

امام هذا الرفض العثماني لجأوا الى اسلوب آخر لزيادة نفوذهم في الحبشة وهوالتركز على زيادة البعثات الكاثوليكية والبدء بخطوات عملية لتحويل الاحباش الى المذهب الكاثوليكي ، وكانت الفرصةمهيأة لهذا الامر ، فعلى الرغم من مقتل الامام احمد عام ١٥٤٣الا انه في نهاية هذا العام بدا وزيره عباس برفع راية المقاومة من جديد ،وتمكن من تكوين دولة اسلامية في مقاطعات (دوارو وقطجاروووبالي) ، الا انها لم تصمد امام الاحباش وحلفائهم وسلاحهم الناري فسقطت تلك الدولة بعد معركة قادها كلاوديوس ضده عام ١٥٤٥ [٧٦]

بعد هذا الانتصار ارسل ملك البرتغال الى الملك كلاوديوس عام ١٥٤٦رسالة يطلب منه قطع العلاقة مع كنيسة مصر والانضمام الى الكنيسة الغربية ومنح البرتغاليين اقطاعات تصل الى ثلث اراضي الحبشة، واخبره انه سيرسل احد البطاركة لرئاسة الكنيسة الحبشية[٧٧]

(74)The Portuguese(Serjeant): 19.

(75)The Ottoman Turks:93;

(٧٦) انتشار الاسلام والثقافة العربية :٤٦٨؛ العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية والمسيحية في الحبشة:٢٤٥

(٧٧) تاريخ ارتريا:١٣٦-١٣٧.

كان العثمانيون عام ١٥٤٧ يعانون من اضطراب اوضاع اليمن، وقد استغل البرتغاليون هذا الامر وتواجدوا حول سواحل عدن ؛لذا قرر السلطان ارسال حملة الى المحيط الهندي ،فعين محيي الدين بيري ريس عام ١٥٤٨ قائدا عاما للأسطول العثماني في السويس وامره بالأعداد لحملة بحريةلأنجاد مسلمي الهند الذين ارسلوا مبعوثيهم اليه يطلبونالنصرة ، كما كان الهدف من هذه الحملة الرد على تعديات البرتغاليين على البصرة وعدن؛فاكمل استعداداته وابحر يبغي الوصول الى الهند وفي طريقه مر على اليمن ، فثبت الحكم العثماني فيها ثم غادرها الى القطيف التي سيطر عليها ١٥٥٠[٧٨] ، كما سيطر على مسقط في السنة ذاتها وهاجم هرمز لكنه فشل في الاستيلاء عليها مما اضطره الى الانسحاب الى البصرة بعد ان قدم الكثير من الخسائر امام البرتغاليين[٧٩].

وبينما كان بيري ريس يقود حملته الى المحيط الهندي انتعشت امال مسلمي امارة عدل فنشطت حركتهم من جديد بقيادة الاميرنور بن مجاهد عام ١٥٥١والمسمى (صاحب الفتح الثاني)وهو ابن اخت الامام احمد فقد ادرك ان البرتغاليين في هذه الاثناء مشغولين عن نصرة الاحباش بمجابهة العثمانيين والتصدي لهم في الخليج العربي ، لذا بدا بتحصين مدينة هرر وبنى سورا حولها وعمل لها خمسة مداخل هي باب النصر ، باب الحاكم، باب الفتح، باب الرحمة، باب السلام ، وبعد ذلك شن غاراته على الاحباش وتمكن من تضييق الخناق عليهم ومع ذلك فقد مني ببعض الهزائم كان يلجا فيها الى العثمانيين في مصوع [٨٠].

اما العثمانيون في الخليج العربي فقد كانوا يواصلون التصدي للبرتغاليين وعلى الرغم من كل جهودهم فقد فشلوا في استعادة اسطولهم الذي تركه بيري ريس في البصرة ، كما فشلو في ضرب القواعد البرتغالية في المحيط الهندي ، الا انهم اغلقوا البحر الاحمر وضموا سواحله الغربية الى سلطتهم المباشرة، ومنذ عام ١٥٥٤ اصبحت سواكن وماحولها سنجقا عثمانيا يتع ايالة مصر من الناحية الادارية[٨١] واعقبها قيام

(٧٨) وثيقه مؤرخه في ١٥٥٠/١١/٢٤،منشورة في مجلة المناهل ، العدد ٢٠٦،السنة العاشرة،١٩٨٣: ٥٤ ،وقد اشارت وثيقه اخرى مؤرخه في ١٥٥٢/١/٢٧،الى ان البرتغاليين اعادوا السيطرة عليها، ينظر: المصدر نفسه

(٧٩) للتفاصيل عن حملة بيري ريس ينظر: البحار العثماني محيي الدين بيري ريس :٨٢-٨٣

(٨٠)الاحباش بين مارب واكسوم: ٩٠؛

A History of Ethiopia:89

(81)Başbakanlik Osmanli Arşivi, Kamil Kepeçi ,Ruus Deftere, no.211:78

الدولة العثمانية باستحداث ايالة الحبش عام ١٥٥٥م[٨٢]التي كان لها دور مهم في قطعالاتصال بين الاحباش والبرتغاليين،وبذلك لم يحقق الحلف الحبشي البرتغالي سوى اهداف محدودة لم يكتب لها الاستمرار.

الخاتمة:

يبرز هذا البحث الدور العثماني في التصدي للأطماع الاجنبية في هذه المنطقة التي تعد حيوية لاقتصاد الدول الاسلامية سواء في الهند او على سواحل المحيط الهندي او في شرق افريقيا والبحر الاحمر وعلى راس هذه الدول الدولتان المملوكية والعثمانية ، كذلك الدور العثماني في افشال مشروع التحالف الحبشي البرتغالي بدعم امارة عدل الاسلامية بشكل خاص ومسلمي الحبشة بشكل عام ، وقد ادى ازدياد هذا الدعم الى خضوع اجزاء واسعة منالحبشة تحت سلطة الامام احمد بن ابراهيم الذي تيسر له ما لم يتيسر لاحد من قبله.

وكان من نتيجة هذا الدعم ان انتشر الاسلام بشكل كبير في الحبشة وتحولت قبائل بأكملها من الوثنية الى الاسلام ومن اهم تلك القبائل قبائل الجالا

وعلى الرغم من كل ما بذله العثمانيون الا انهم لم يتمكنوا من اقتلا ع القواعد البرتغالية في المحيط الهندي ، الا ان النجاح الاكبر الذي حققوه في البحر الاحمر فقد اصبح بفضل جهودهم مغلقا امام السفن البرتغالية والأجنبية ، بل ان جهودهم ادت الى عودة طرق التجارة القديمةالى ما كانت عليه بعد تحولها اعلى اثر اكتشاف راس الرجاء الصالح .

ثبت المصادر:

- اثر الهجرة في تكوين الامارات الاسلامية في افريقيا ، عبدالله خضر احمد ، مجلة قراءات أفريقية ، عدد١٩، يناير/ مارس (٢٠١٤).
- ارتريا والحبشة، محمود شاكر،(١٩٨٣)،ط٢،بيروت.
- اضواء على تاريخ اليمن البحري، حسن صالح شهاب ، ط٢، (١٩٨١) بيروت.

وللتفاصيل عن هذا السنجق ينظر تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني ، انعم محمد عثمان الكباشي ، مجلة الدارة، العدد٤ السنه ٣٨، السعودية شوال (١٤٣٣هـ) :٢٠٢

(٨٢)وثائق عثمانية بحرية عن قبودان السويس،الوثيقتان (٤٠)و(٤١)

- الاحباش بين مارب واكسوم، ممتاز العارف ،(١٩٧٥) بيروت.

- الالمام بأخبار من بارض الحبشة من ملوك الاسلام ، احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي (١٩٨٥) مصر.

- البحار العثماني محيي الدين بيري ريس حياته وجهاده البحري ١٤٦٥-١٥٥٤، نسيبة عبد العزيز عبدالله الحاج علاوي ، مجلة التربية والعلم ، عدد ٤ ، مجلد١٦، جامعة الموصل ٢٠٠٩.

- البرتغاليون في شرق افريقيا وطردهم منها ،عبد الرزاق علي عثمان، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤السنة السابعة ، يناير ، البحرين (١٩٨٩).

- البرق اليماني في الفتح العثماني ، قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي ، (١٩٦٧) ، الرياض .

- البلاد العربية في الوثائق العثمانية النصف الاول من القرن ١٠هـ ١٦م ، فاضل بيات ،(٢٠١٠) ، استانبول.

- الخليج العربي بحر الاساطير ، قدري قلعجي ، (١٩٦٥)، بيروت.

- الدعوة الى الاسلام ، توماس ارنولد، ترجمة وتعليق: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي، (١٩٧١) القاهرة .

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي ، ط٢، (١٩٥٦) القاهرة.

- الشعوب الإسلامية ، عبد العزيز سليمان نوار، (١٩٩١) بيروت.

- الصراع الاسلامي البرتغالي واثره في حركة التجارة الدولية ١٥٠٠-١٧٣٠، رياض محمود الاسطل ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة السند ، باكستان(١٩٩١)

- وثائق عثمانية بحرية عن قبودان السويس والدور العثماني في مجابهة البرتغاليين ،اعداد : محمد محمود خليل (د.ت)،مصر.

- العالم الاسلامي عشية توسع اوربه، جون سندرز ، ترجمة محمد ظافر الصواف ، (١٩٩٤) ، بيروت

- العلاقات السياسية بين القوى الاسلامية والمسيحية في الحبشة خلال النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادي، خديجة احمد الطناشي ،(١٩٦٩) ، طرابلس .

- العلاقات العثمانية المملوكية ١٤٦٤-١٥١٧،غيثاء احمد نافع ،(٢٠٠٥) بيروت.

- الفتح العثماني الاول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥،سيد مصطفى سالم ، ط٢ ، (١٩٧٤) القاهرة - افريقيا الشرقية والاستعمار الاوربي ، رجب حراز (١٩٦٨) القاهرة .

- الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤،نيقولاي ايفانوف، ترجمة: يوسف عطاالله ،(١٩٨٨) ، بيروت .
- الكشوف الجغرافية ... دوافعها حقيقتها ، محمود شاكر ، (١٣٩٣هـ) بيروت
- التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب، حسين امين ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد١٢، بغداد١٩٨٠.
- النشاط البحري لكمال ريس ١٤٥١-١٥١١ ،نسيبة عبدالعزيز عبدالله الحاج علاوي ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، العدد١، مجلد ١٤، كانون الاول، جامعة الموصل ٢٠١٧.
- انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، حسن احمد محمود (١٩٦٣) ، القاهرة .
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن احمد بن اياس ، تحقيق محمد مصطفى، (١٩٦٠) القاهرة.
- تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر (قارة افريقيا) ، احمد ياغي ومحمود شاكر ،(٢٠٠٦) ، الرياض.
- بين العرب والحبشة ، عبد المجيد عابدين ، (١٩٤٧) بيروت .
- تاريخ ارتريا ، عثمان صالح سبي (١٩٧٤) ، د.م.
- تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر،(١٩٨١)،بيروت.
- تاريخ الدولة العثمانية ، يلماز ازتونا، ترجمة عدنان محمود سلمان ، (١٩٨٨) ، استانبول .
- تاريخ النقود العراقية لما بعد العصور العباسية، عباس العزاوي ،(١٩٥٧) بغداد.
- تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني ، انعم محمد عثمان الكباشي ، مجلة الدارة، العدد٤ السنه ٣٨، السعودية شوال (١٤٣٣هـ) .
- تحفة الزمان او فتوح الحبشة ، شهاب الدين احمد بن عبد القادر الجيزاني ، تحقيق: فهيم محمد شلتوت (١٩٧٤) القاهرة.
- دولت عثمانية تاريخي، هامه ر، ترجمة : محمد عطا(١٣٣٠هـ) ، استانبول، بشنجي جلد.
- حقائق الاخبار عن دول البحار، اسماعيل سرهنك،(١٣١٢هـ)، القاهرة.
- صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي جذوره التاريخية وابعاده ، محمد عدنان مراد، (١٩٨٤) ، دمشق.
- صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، غسان محمد علي الرمال ، (١٩٨٥) السعودية .

- علاقات الدول الاوربية بمنطقة الخليج العربي في الفترة ١٥٨٠ الى ١٦٤٠ ، نصر الدين عبد الحميد نصر ،(٢٠٠٧)، القاهرة.

- مجلة المناهل ، العدد ٢٠٦،السنه العاشره،١٩٨٣ .

- مصر في عهد المماليك الجراكسة ، ابراهيم علي طرخان (١٩٦٠) القاهرة.

- الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي، راغب السرجاني ، ط٧، (٢٠٠٧) القاهرة.

- ميناء الشحر في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، شيخة بنت صالح بن محمد شعيب، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى (٢٠٠٥) مكة.

المصادر الاجنبيه

-A History of Ethiopia ,paul B. Henze, (2001),Malaysia

A History of Ethiopia, Mouro Jones,(1978) Oxford-.

-.A Short History of Eritrea ,S,H. Longragg, (1945), Oxford

Başbakanlik Osmanli Arşivi,Kamil Kepeçi, Ruus Deftere, no.2. -211

- Cambridge History of Africa 1050-1600, R.B. Sergeant,(1977) Cambridge

- The Cambridge History of Africa1050-1600, Roland Olver,(edt),(1977), Cambridge.

- The Evolution of The Ottoman Seaborut Empire In The Age of Oceanmic Dissoveries1453-1525, Andrew C. Hess, in American Historical Review, vol,LXXV,N.7,December,(1970. (

-KIZILDENİZ'DE OSMANLI HÂKİMİYETİ: ÖZDEMİROĞLU OSMAN PAŞA'NIN HABEŞİSTAN BEYLERBEYLİĞİ (1561-1567), Reyhan Şahin Allahverdi, Studies of The Ottoman Domain ,calt. 3,sayi.5. Agustos,(2013). (٤٨)

-History of The Ottoman Empire to 1730, V.J. Parry,(1976), Cambridge.

-Islam in Ethiopia, J. Spenser Trimingham,(1952) Oxford.

-Ottoman Empire's Relations With Southern Africa , Ahmat kavas, Düifd XLVIII, Istanbul ,(2007). (

-Süleyman Paşa Hadim ,Erhan Afyoncu, Turkiye Diyant Vikfi Aslam Ansiklopedisi ,XXXVIII(1991) Istanbul.

Süleyman Paşa Hadim,Islam Ansiklopedisi, XI(1940)Istanbul. -

-The Ottoman Turks And The Arbs 1511-1574,Gorge William Ferdrick Stripling ,(1942) U.S.A.

-The Portuguese of The South Arabian Cost , R .B. Sergeant,1963(Oxford).